﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا فَـرَغَ مِن حديثِ الحاسدِ؛ انـتـقـلَ إلى المحسودِ

لـمَّا أَوجَبَ لإبليسَ ما ذُكِرَ مِنَ الشَّقاوة تَماديهِ في الحسد، وكثرةُ كلامِه في محسودِه؛ الْتَفَتَ إلى محسودِه (آدمَ)، الَّذي لم يتكلَّم فيه كلمةً واحدةً، فناداه قائلًا له: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وتوجَّه الخطابُ لهما معًا، فقال لهما: "ويا آدمُ اسكُنْ أنتَ وزوجُكَ دارَ كرامتي، وهي الجَنَّةُ، وتنعَّما بما فيها، فكُلا مِن أيِّ طعامٍ أردتُما، إلَّا هذه الشَّجرةَ، فلا تقرباها؛ حتَّى لا تكونا مِنَ الظَّالمين لأنفسهم، بالعقاب المترتِّب على المخالفةِ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡكُنۡ﴾: يدور معنى السُّكونِ على ثُبوتِ الشَّيء بعدَ تحرُّكٍ، حِسًّا أو معنىً، أو على خِلافِ الحركةِ والاضطراب، ويُستَعمل في الاستيطان، نحو: سَكَنَ فلانٌ مكانَ كذا، أي: استوطنه؛ لأنَّه محلُّ ثُبوتِه بعد حركتِه في المعاشِ وغيرِه، واسم المكان: مَسْكَنٌ، وكلُّ ما يُسكَنُ إليه هو سَكَنٌ، وسُمِّيَ المِسْكينُ مِسْكينًا؛ لِقلَّةِ تَصَرُّفِه وحركتِه، وتَمَسْكَنَ واستكان، أي: خَضَع وذَلَّ، وسُمِّيت النَّارُ سكنًا؛ لأنَّ النَّاظر إليها يَسْكُنُ حِسًّا، كما أنَّه مِن حيثُ المعنى، يَسْكُنُ إليها وإلى أهلها[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/370 - 371.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: 1/206.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سكن).

2) ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: جمع ظالم، والظُّلم: وَضْعُ الشَّيءِ في غير موضعه المختصِّ به، إمَّا بنقصان أو بزيادة، وإمَّا بعدولٍ عن وقتِه أو مكانِه، ومنه ظَلَمْتُ الأرضَ: حَفرْتُها، ولم تكن موضعًا للحَفْر، والظُّلْمُ: مجاوزةُ الحقِّ، ويقالُ فيما يَكْثُر وفيما يقلُّ مِنَ التَّجاوزِ، ولهذا يُسْتَعملُ في الذَّنب الكبيرِ وفي الذَّنب الصَّغيرِ، ولذلك قيل لآدمَ في تَعدِّيه: ظالمٌ، وفي إبليسَ: ظالمٌ، وإن كان بينَ الظُّلْمَين بَونٌ بعيدٌ، وأعظمُ الظُّلمِ الشِّركُ باللّهِ، كما يُطلقُ الظُّلمُ على المَيْلِ عنِ القَصدِ؛ لمجاوزتِه المطلوب[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، واستَقِرَّا فيها، وكُلا مِن ثمارِها، مِن أيِّ مكانٍ فيها، ولكِن لا تقربَا ثمارَ هذهِ الشَّجرةَ - وعيَّنها لهم - فتكونَا بذلك مِنَ الظَّالمين لأنفسِهم؛ إذ تجاوزتُما حدودَ اللّه تعالى[2].

الأمرُ بالاستقرارِ في جنَّةِ الاختبارِ، مـع الالـتـزامِ بالمنعِ والازدجارِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعةُ الوصلِ في الآيةِ الكريمةِ:

يَحتمِل الوصلُ بالواو في قوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، أن يكونَ مِن عطفِ الآيةِ على قوله: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11][3]، ومناسبةُ الوصلِ: أن يكون الخطابُ على نَسَقِ ما جاء في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: 35]، وليكون معنى الامتنانِ ظاهرًا؛ لمجيء الخطابِ بتقدير صيغة التَّعظيم ﴿وَقُلْنَا﴾[4]، ولعطفِه

تنوُّعُ احتمالاتِ العطفِ توسُّعٌ في الدِّلالةِ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ظلم).
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 3/1393.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/94، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/24، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/219.
(4) الطيبّي، فتوح الغيب: 6/348.

على ما امتنَّ اللهُ به على آدمَ، بأمرِ الملائكةِ بالسُّجودِ له، كما أنَّ كِلْتَا الآيتين - المعطوفَ والمعطوفَ عليها - تضمَّنتا صيغةَ الأمر، ويقوِّي هذا الوجهَ: مجيءُ الخطابِ هنا لآدمَ على الأصالةِ، وعَطْفُ زوجه عليه، كما سيأتي. ويَحتمِل أنْ يكونَ معطوفًا على قوله: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾؛ ليكونَ مِن عَطْفِ المَحْكيِّ على المَحْكيِّ، فالنِّداءُ والأمرُ مِن جُملةِ المَقول المَحْكيِّ، والتَّقدير: قال اللهُ لإبليسَ: اخرجْ منها، وقال لآدمَ: ويا آدمُ اسكنْ؛ ليكونَ مِن عطفِ المتكلِّم بعضَ كلامه على بعضٍ، إذا كانَ لبعض كلامه اتِّصالٌ وتناسبٌ معَ بعضه الآخَرَ، ولم يكنْ أحدُ الكلامين مُوجَّهًا إلى الَّذي وُجِّهَ إليه الكلامُ الآخرُ، معَ اتِّحادِ مقامِ الكلامِ، كما يَفْعَلُ المُتكلِّمُ معَ مُتعدِّدين في مجلسٍ واحدٍ، فيُقْبِلُ على كلِّ مخاطَبٍ منهم بكلامٍ يَخُصُّه؛ ليُعلِمَ المُخاطَبين بالقرآنِ الفرقَ بينَ خطابِه لآدمَ وخطابِه لإبليسَ.

بلاغة التعريض بإهانة إبليس في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾:

وفي توجيهِ الخطابِ لآدمَ بهذهِ الفضيلةِ، بحضورِ إبليسَ بعدَ طردِهِ، زيادَةُ إهانةٍ لإبليس؛ لأنَّ إعطاءَ النِّعَمِ لمَرضيٍّ عليه حينَ عقابِ مَنِ استأهلَ العقابَ، زيادةُ حسرةٍ على المعاقَبِ، وإظهارٌ للتَّفاوت بين مُستَحِقِّ الإنعامِ ومُستَحِقِّ العقوبةِ.

العقوبةُ النَّفسيَّةُ أشدُّ وقعًا على المعاقَبِ مِنَ العقوبةِ الحسيَّةِ

قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ إيحاءٌ بقَمْع إبليسَ:

الأمرُ في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ "بمسمَعٍ مِن إبليسَ، مَقْمَعَةٌ لإبليسَ؛ لأنَّه إن كانَ إبليسُ مُستقرًّا في الجنَّةِ مِن قبلُ، فالقَمْعُ ظاهرٌ؛ إذْ طردَه اللهُ، وأسكنَ الَّذي تكبَّر هو عنِ السُّجودِ إليه، في المكانِ المُشَرَّفِ الَّذي كانَ له قبلَ تكبُّرِه، وإنْ لم يكن إبليسُ ساكنًا في الجنَّةِ قبلُ؛ فإكرامُ الذي احتقرَه، وترفَّعَ عليه قَمْعٌ له؛ فقد دلَّ موقعُ هذا الكلامِ في هذهِ السُّورةِ، على معنًى عظيمٍ مِن قَمْعِ إبليسَ، زائدٍ على ما في آيةِ سورةِ البقرةِ، وإن كانتا

ترتفعُ المقاماتُ عند اللهِ بالطَّاعةِ والإيمانِ، وتنحطُّ بالعصيانِ

متماثلَتينِ في اللَّفظِ، ولكنّ هذا المعنى البديعُ استُفيدَ مِنَ الموقع، وهذا مِن بدائع إعجازِ القرآن"[1].

مناسبةُ النِّداء في قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾:

نداءُ آدمَ تنويهٌ بذكرِه في الملأِ الأعلى، وإظهارٌ للتَّكريم

تصديرُ الكلامِ بالنِّداء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، للإقبالِ على آدمَ، ولِتنبيهه على الاهتمام بتلقِّي المأمورِ به، والعملِ به، بالإقبالِ عليه رغبةً فيه، كما أنَّ في النّداء تنويهًا بذكره في ذلك الملأ؛ إظهارًا للتَّكريم[2]، وقد "قال له هذا القولَ، بعد إخراجِ إبليسَ مِنَ الجنَّة أو مِنَ السَّماء، أو مِن بين الملائكةِ، والمعنى: اتَّخِذْها مسكنًا، وتخصيص الخطاب بآدمَ للإيذان بأصالته في تلقِّي الوحي، وتعاطي المأمور به"[3].

نكتةُ تخصيصِ الخطابِ بآدمَ، وعَطْفِ زوجِه عليه:

أصالةُ آدمَ في تلقِّي الوحي، وتعاطي المأمورِ بهِ مع تَبَعِ زوْجِهِ لَهُ

تخصيصُ الخطابِ بآدمَ ﷺ في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، إذْ لم يُخاطبْه وزوجَه معًا؛ للإيذانِ بأصالتِه في تلقِّي الوحي، وتعاطِي المأمور به، وللتَّنبيه على أنَّه المقصودُ بالحُكم، والمعطوفُ عليه تَبَعٌ له[4]، "واختلفوا في خَلْق حواء، فقال ابن إسحق: خُلِقَتْ قبلَ دخولِ آدمَ الجَنَّة، وهو ظاهرُ هذه الآية، وقيل: بعد دخولِ الجنَّة، وقيل: الخطابُ للمَعْدومِ؛ لوجودِه في عِلْمِ الله"[5].

توجيهُ الأمرِ في المَطْلع بقوله تعالى: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾:

أمرُ الإنسانِ بما هو مُتلبِّسٌ بهِ، إشارةٌ للاستمرارِ عليه

في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، يَحتمِل الأمرُ في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ أن يكون بمعنى: الْزَمِ المكانَ الذي دخلتَهُ، ولا تنتقلْ منه، إذا كان آدمُ في الجنَّة أصلًا، وبيانُه: أنَّه لمَّا كانَ المقْصِدُ مِن أمرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/52.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/220، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/53.
(3) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 4/317.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/72، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 3/220.
(5) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 4/317.

الإنسان بشيءٍ في حالِ تلبُّسِه به أنْ يستمرَّ على حالِه، ويتمادَى في هيئتِه، ويَلْبَثَ فيه، كان قولُه تعالى لآدمَ: ﴿ٱسْكُنْ﴾ من هذا الباب، بمعنى: لازِم الجنَّة، واتِّخذْها مَسْكَنًا، ويَحتمِل أن يكون بمعنى: ادخلْها ساكنًا لها، فافعلْ فيها كذا وكذا، إذا كان آدمُ لم يدخلْها بَعدُ؛ ليوافقَ دخولُ آدمَ الجنَّةَ خروجَ إبليسَ منها، في قوله: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾[1].

بديعُ إيثارِ لفظِ ﴿ٱسْكُنْ﴾:

دخـــولُ آدمَ وحوَّاءَ في الجنَّةِ كـــان دخـــولَ سُـكـنـى، لا دخولَ إقامةٍ

يُشْعِرُ التَّعبير بلفظِ السَّكنِ في قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أنَّ الجنَّةَ التي أُمِرَ آدمُ بالسَّكنِ فيها، هي مَحلُّ استقرارٍ، وأنَّ السُّكونَ فيها يكونُ إلى مُدَّةٍ ثمَّ ينقطعُ، فَدُخولُهما في الجنَّة كان دخولَ سُكنى، لا دُخولَ إقامةٍ[2]، ولهذا سمَّى اللهُ تعالى الجنَّةَ الَّتي يسكنها المؤمنون يومَ القيامة: (دارَ المُقامة)، للإقامةِ فيها، من غير خروجٍ منها، فقال تعالى فيما حكاه عن قول المؤمنين في الجنَّة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: 35].

بلاغةُ التَّعريضِ بالضَّميرِ المنفصلِ:

إظـهـارُ الـتـودُّدِ والمنَّةِ على آدمَ، وترسيخُ هـوانِ إبليسَ

جاء الضَّمير المنفصل ﴿أَنتَ﴾ بعدَ فعلِ الأمرِ، مُؤكِّدًا الضَّميرَ المُستَتِرَ؛ تقريرًا لِلامتنانِ على آدمَ ﷺ وإشعارًا بالتَّودُّدِ لمناسبةِ المقامِ، وزيادةً في التَّنكيل بإبليسَ؛ لأنَّ ذِكْرَ الضَّمير العائدِ على آدمَ، في مقامِ العطفِ على ما حُكِيَ عن إبليسَ، يُذَكِّرُ إبليسَ بأنَّه ليس مثلَ آدمَ، فأفادَ الضَّميرُ المنفصلُ الاحترازَ عن غيرِ صاحبِ الضَّميرِ، بالقرينةِ على طريقةِ التَّعريضِ، فما اختيرَ الفصلُ بالضَّميرِ المنفصلِ إلَّا لِمَا يُفيدُ مِنَ التَّعريضِ بغيرِه[3].

(1) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 2/382، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/289، والإسكافّي، دُرّة التّنزيل: 1/224.

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/299.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/53.

مناسبةُ تَعدّي الفعلِ ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ بغيرِ حرفِ الجرّ:

مِن تكريمِ آدمَ جَعْلُ جميعِ مواضعِ الجَنَّةِ سكنًا لهُ ولزوجِهِ

لم يَقُل: (اسْكُنْ أَنْتَ وَزوْجُكَ في الجَنَّةِ)؛ لِمَا قد يُشْعِرُ به حَرفُ الجرِّ (في) مِن تقييدٍ للسَّكنِ في الجنَّة، في موضعٍ معيَّن، فلمَّا تعدَّى الفعلُ بنفسِه إلى ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾؛ أفادَ أنَّ الجَنَّةَ بجميعِ مواضعِها سَكَنٌ له؛ ليَدُلَّ على العُمومِ، إظهارًا لعظيمِ الامتنانِ، وتشريفًا لآدمَ عليه السلام.

بلاغةُ التَّغليبِ في لفظِ ﴿فَكُلَا﴾:

لا خُصوصيَّةَ لآدمَ على زَوجِه في الجنَّةِ

غُلِّبَ المخاطَبُ على الغائبِ في قوله تعالى: ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ على ما هو الأصل في التَّغليبِ، فقال: ﴿فَكُلَا﴾، فمعناه: (كلْ أنت وزوجُك)، ونكتةُ مجيءِ الكلامِ على التَّغليب، بتوجيهِ الخطابِ إليهما، بضميرِ التَّثنيةِ، هي الإيجازُ في الكلامِ، ولِتعميمِ التَّشريفِ، والإيذانُ بأنَّ الحكمَ على آدمَ وزوجِه، بعدَ السَّكنِ في الجنَّة، كالحكمِ على الواحدِ، أي: بتساويهما في مباشرةِ المأمورِ به، فإنَّ حواءَ أُسْوةٌ له عليها السلام في حقِّ الأكلِ، بخلافِ السَّكنِ، فإنَّها تابعةٌ له فيه، فلا خصوصيَّةَ لآدم على زوجِه بعد سكنِهما في الجنَّة[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿مِنۡ﴾:

سعةُ الجنَّةِ وكَثْرةُ مآكلِها، دليلٌ على سعةِ عطاءِ اللهِ

أفادت ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ ابتداءَ حيثيَّةِ مشيئتِهما؛ لإباحةِ الأكلِ في أماكنِها دونَ غايةٍ تنتهي إليها مشيئتُهما؛ للإشعارِ باتِّساعِ مساحةِ الجنَّة، وكَثْرةِ مآكلِها، وفي الحديثِ القُدُسيِّ: «أَعدَدْتُ لعبادي الصَّالحين، مَا لا عينٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعتْ، وَلَا خطر على قلب بشر»[2]، قال المناويُّ في شرحه: "ولا شكَّ أنَّ نعيم الجَنَّة وتُحَفَها، شيءٌ لا يمكن للإنسان أن يصفه؛ لأنَّه باقٍ لا يَلْحَقُه التَّغييرُ والانحلال، ولا العَطَب

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/220، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/354.

(2) رواه أحمد، والشّيخان، والتّرمذيّ، وابن ماجه عن أبي هريرة، والطّبرانيّ في الأوسط عن أنس، وابن جرير عن أبي سعيد، وعن قتادة مرسلًا. ينظر: عبد الرؤوف المناويّ، الإتحافات السّنيّة بالأحاديث القدسيّة، ص: 37.

والاضمحلالُ، بخلافِ مَلذَّات الدُّنيا ونعيمها، فإنَّها سريعةُ الفناء، قليلُ الانتفاعِ بها"[1].

مناسبةُ العمومِ في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾:

لمَّا كان ﴿حَيْثُ﴾ للمكان المُبهم؛ دلَّ على العموم، فبدلًا من أن يقول: فَكُلا من هذا المكانِ وهذا المكانِ، على سبيل التَّعداد؛ أوجزَ، فعبَّر بالاسم المبهم على معنى العموم، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، أي: فَكُلا من أيِّ مكانٍ مِنَ الجنَّةِ شئتُما، فأطلقَ لهما الأكلَ مِنَ الجنَّةِ على وجهِ التَّوسعةِ البالغةِ، إزاحةً للعلَّةِ ولِلعُذْرِ، في التَّناولِ مِنَ الشَّجرةِ المنهيِّ عنها، مِن بينِ أشجارِها الفائتةِ[2].

وسَّعَ في الأكلِ مِن شَجَرِ الجنَّة؛ تعويضًا عنِ المنهيِّ عنها

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿شِئْتُمَا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾:

عُبِّرَ بـ﴿شِئْتُمَا﴾ للإشعارِ بأنَّ الأمرَ بالأكل من ثمارِ الجنَّةِ، مُيسَّرٌ مُتاحٌ لآدم وحوَّاء على وَفق مشيئتِهما، زيادةً في التَّكريم والامتنانِ.

الأكلُ مِن ثمارِ الجِنانِ الفِسَاحِ، مُيسَّرٌ مُتاحٌ لآدمَ وزوجه

دلالةُ اسمِ الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾:

عُبِّرَ باسم الإشارة لكمالِ العنايةِ، بتمييزِ الشَّجرة المنهيِّ عن قُربها أكملَ تمييزٍ، فدلَّ اسمُ الإشارة على أنَّ "الظَّاهرَ أنَّه أشار إلى شخصِ شجرةٍ واحدةٍ، مِن نوعٍ مُعيَّنٍ وأرادها، ويَحتمِل أن يشير إلى شجرةٍ معيَّنةٍ وهو يريدُ النَّوع بجملته، وعبَّر باسم الواحدةِ، كما تقولُ: أصابَ النَّاسُ الدِّينارَ والدِّرهم، وأنت تريد النَّوع"[3].

كمالُ العنايةِ بتمييزِ الشَّجرةِ المنهيِّ عن قُربها إزاحةً للعُذر

مناسبةُ مجيءِ الكلامِ على البدلِ في قوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾:

لمَّا كان المقامُ مقامَ اعتناءٍ بالشَّجرةِ للتَّحذيرِ من قُربها والأكلِ منها؛ استدعى الأمرُ إعادةَ الكلامِ بلفظٍ أوفى مِن اسمِ الإشارةِ، وهو: ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾، فصار البدلُ أوفى مِن اسم الإشارة؛ لاقترانِه

الاعتناءُ بالتَّعريفِ بالشَّجرة المنهيِّ عنها إفصاحٌ وإيضاحٌ

(1) المناويّ، الإتحافات السّنيّة بالأحاديث القدسيّة، ص: 37.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/127، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/72.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/328.

باسم الإشارةِ؛ ولِيظهرَ القصدُ مِن اسمِ الإشارة مِن جهةٍ أخرى، فيظهرَ بمجموع القصدين إليه؛ في اسم الإشارة: ﴿هَٰذِهِ﴾، والاسم المعَرَّف: ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾، أعني: المُبْدَلَ منه والبدلَ، مَزيدُ الاعتناءِ بالتَّعريفِ بالشَّجرةِ؛ ليتَّضحَ الأمرُ تمامَ الإيضاح[1].

❁ بيانُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

مقامُ تعدادِ النِّعم يناسبه استقلالُ كلٍّ منها بالواوِ:

يـأتي الـلَّـفـظُ لـتـعـدادِ النِّعَمِ، أو بيانِ استقلالِها، أو زيادتِها

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: 35] بالواوِ، وقال هاهنا: ﴿فَكُلَا﴾ بالفاءِ، والعلَّة: أنَّ ما جاء في سورةِ البقرةِ، لـمَّا كان في مقامِ الامتنانِ والتَّذكير بنِعم اللهِ، ويدلُّ عليه قولُه تعالى قبل ذكر قصَّة آدمَ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 28 - 29]، وقال بعد قصَّة آدمَ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: 40]، فلمَّا كان السِّياقُ في مقام تعدادِ النِّعم ناسبَه تعدادُ النِّعم على آدمَ بذكر الواو؛ ليكونَ الإسكانُ نعمةً مستقلَّةً، والأكلُ نعمةً مستقلَّةً أُخرى، وناسبه كذلك ذِكْرُ ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة: 35] في آيات البقرة؛ لإشعارِ اللَّفظة بزيادةِ النِّعمة ورخائها، وأمَّا في سورة الأعرافِ؛ فإنَّها مِن تتمَّة السِّياقِ الواردِ في النَّشأةِ الأُولى للبشر وشياطين الجنِّ، أُنزلت تمهيدًا لبيانِ كرامةِ آدمَ عند اللهِ، وما رتَّبهُ له في الجَنَّة، ولهداية النَّاسِ بما يتلوها مِن الآيات، في وعظ بني آدمَ، وتحذيرهم مِن اتِّباع إبليس اللَّعين، وإرشادهم إلى ما تكمُلُ به فطرتُهم، فناسب مجيءُ الفاءِ في قوله: ﴿فَكُلَا﴾؛ ليكونَ مُرتَّبًا على الإسكانِ في الجنَّة[2].

(1) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 253.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/307.

تنوّعُ التّعبيرِ بينَ الواوِ والفاء، تناوبٌ في ذكرِ مطلقِ الأكلِ ونوعِهِ:

المفهومُ مِنَ الفاءِ داخلٌ تحت المفهومِ مِنَ الواوِ؛ وجامعُهما التّشريكُ

ذكر الفخر الرّازيُّ في توجيه المتشابه اللّفظيِّ في السُّورتين سببًا آخرَ، فرأى: أنَّه لمَّا كانتِ الواو تُفيد الجمعَ المطلق، والفاءُ تُفيد الجمع على سبيل التَّعقيبِ، كانَ المفهومُ مِنَ الفاء نوعًا داخلًا تحت المفهوم مِنَ الواو؛ لاجتماعهما في التَّشريك، ولا مُنافاة بينَ النَّوع والجنس، ففي سورة البقرةِ ذَكَر الجنسَ، وهو مُطلقُ الأكل، وفي سورة الأعراف ذكر النَّوع، وهو الأكلُ المرَتَّب على الإسكانِ في الجنَّة[1].

السُّكنى لا تستدعي زمانًا ممتدًّا، يُجمعُ فيه بينَ الاتِّخاذِ والأكل:

زادَ في البقرةِ (رغدًا)، لمَّا زاد في الخبر تعظيمًا

قال النِّيسابوريُّ في بيان سرِّ المتشابهِ اللَّفظيِّ هنا: "لأنَّ ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ هاهنا مِنَ السُّكنى الَّتي معناها: اتِّخاذُ الموضعِ مسكنًا، وهذا لا يستدعي زمانًا ممتدًّا، يمكن الجمع بينَ الاتِّخاذِ والأكل فيه، بل يقع الأكلُ عقيبَه، وفي البقرة: مِنَ السُّكون الَّذي يُراد به الإقامةُ، فلم يَصْلُح إلَّا بالواو؛ فإنَّ المعنى: اجمعا بينَ الإقامة فيها والأكلِ مِن ثمارها، ولو كان بالفاء؛ لوجبَ تأخيرُ الأكلِ إلى الفراغ مِنَ الإقامةِ، وإنَّما زاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة: 35]، لمَّا زاد في الخبر تعظيمًا بقوله: ﴿وَقُلۡنَا﴾ "[البقرة: 35][2]

العطفُ بالواوِ والفاء أوفى بالمعنى في موقعِ استعمالِه المعجزِ:

التَّمتُّعُ بالرَّغدِ عَقِبَ السُّكنى، مِنَّةٌ مُؤذنةٌ بتمامِ الإكرامِ

قال ابن عاشورٍ في الفرق بينهما: "﴿وَكُلَا﴾ في البقرة بالواو، وهنا بالفاء، والعطف بالواو أعمُّ، فالآية هنا أفادت: أنَّ اللّه تعالى أذنَ لآدمَ بأنْ يتمتَّعَ بثمار الجنَّة عَقِبَ أَمْرِه بسُكنى الجنَّة، وتلك مِنَّةٌ عاجلةٌ تُؤْذِنُ بتمام الإكرام، ولمَّا كان ذلك حاصلًا في تلك الحضرة، وكان فيه زيادةُ تنغيصٍ لإبليسَ، الَّذي تكبَّر، وفضَّل نفسَه عليه، كان الحالُ مقتضيًا إعلامَ السَّامعين به في المقامِ الَّذي

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/217.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/217.

حُكِيَ فيه الغضبُ على إبليسَ وطَرْدُه، وأمَّا آيةُ البقرة؛ فإنَّما أفادتِ السَّامعين: أنَّ اللَّه امتنَّ على آدمَ بِمنَّةِ سُكنى الجنَّةِ والتَّمتُّعِ بثمارِها؛ لأنَّ المقامَ هنالكَ لتذكيرِ بني إسرائيل بفضلِ آدمَ وبذنبِه وتوبته، والتَّحذيرِ مِن كيدِ الشَّيطانِ، ذلك الكيدُ الَّذي هم واقعونَ في شيءٍ منه عظيمٍ، على أنَّ آية البقرة، لم تَخْلُ عن ذِكْرِ ما فيه تَكْرِمَةٌ له، وهو قوله: ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة: 35]؛ لأنَّه مَدْحٌ للمُمْتَنِّ به، أو دعاءٌ لآدمَ، فحصل مِن مجموع الآيتين عِدَّةُ مكارمَ لآدمَ، وقد وُزِّعتْ على عادة القرآنِ في توزيع أغراضِ القَصصِ على مواقعِها؛ ليَحْصُلَ تجديدُ الفائدةِ، تنشيطًا للسَّامع، وتفنُّنًا في أساليبِ الحكاية؛ لأنَّ الغرضَ الأهمَّ مِنَ القَصَص في القرآن، إنَّما هو العبرةُ والموعظة والتَّأسِّي[1]، والمناسباتُ المذكورةُ في توجيه المتشابهِ اللَّفظيِّ يُكَمِّل بعضُها بعضًا، والاكتفاءُ بواحدٍ منها، يكفيكَ مؤونةَ السَّهرِ إلى السَّحرِ، والجمعُ بينها إظهارٌ للدُّرر.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظةِ ﴿تَقْرَبَا﴾ في ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾:

القربُ مِنَ الشَّيءِ مِن مُقدِّمات التَّناولِ

إنَّ اللَّه تعالى لمَّا أرادَ النَّهيَ عن أكلِ الشَّجرة؛ نهى عنه بلفظةٍ تقتضي الأكلَ وما يدعو إليه، وهو القُرْبُ؛ لأنَّ القُرْبَ مِن مقدِّمات التَّناول[2].

بلاغةُ النَّهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾:

النَّهيُ يقتضي البُعدَ عن موارد الشُّبهات وما يُلهي عن مقتضى المأموراتِ

في النَّهي مبالغاتٌ متنوِّعة، فتعليقُ النَّهي بالقُرْبِ الذي هو مِن مُقدِّماتِ التَّناول، مبالغةٌ في تحريمه، ووجوبِ الاجتنابِ عنه، فإنَّه لم يُرِدْ بالنَّهي الدُّنُوَّ مِنَ الشَّجرة، ولكن أراد الذَّوقَ والأكلَ منها؛ لأنَّه قال: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾، كما أنَّ في النَّهي تنبيهًا على أنَّ القُربَ مِنَ الشَّيءِ يُورثُ داعيةً ومَيْلًا، يأخذ بمجامعِ القلب، ويُلْهيه عمَّا هو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/54.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/127.

مقتضى العقلِ والشَّرعِ، وفيه: إشعارٌ بأنَّ النَّهيَ يقتضي البُعدَ عن موارد الشُّبهات الَّتي تُغْري بالمَنهيِّ، وتُفضي إليه ورعًا واحتياطًا[1].

دلالةُ الفاءِ في قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

جعلَ اللهُ القربَ مِـنَ الـشَّـجـرةِ سببًا في ظُلم الأنفسِ المُؤثِّرة

الأجودُ أن يكونَ قولُهُ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، في موضع نصبٍ على جواب الأمرِ بالفاء، أي: فإنَّكما إنْ قَربْتُماها كنتُما مِنَ الظَّالمين. ويجوز أنْ يكون في موضع جزم، عطفًا على قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾، أي: فلا تقربا هذه الشَّجرةَ، فلا تكونا مِنَ الظَّالمين، وسواءٌ جعلتَ الفاء للجواب، أو للطَّلب، أو للعطف على النَّهي، فإنِّها تُفيدُ السَّببيَّة، بمعنى: جعلَ القُربَ مِنَ الشَّجرة سببًا لأن يكونا مِنَ الظَّالمين، الَّذين ظلموا أنفسَهم بارتكاب المعاصي، أو بنقص حظِّهما، بالإتيان بما يُخِلُّ بالكرامة والنَّعيم[2].

علَّةُ إيثارِ لفظةِ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دون سواها مِنَ المترادفاتِ:

العصيانُ ظُلمٌ لحقِّ ربِّ العالمين

لـمَّا كان آدمُ ﷺ قد ظلمَ نفسَهُ بإلقائها في العواقب السَّيِّئة، أو كان قدِ اعتدى على حقِّ غيرِه؛ فإنَّ العصيانَ ظُلْمٌ لحقِّ ربِّ العالمين، الواجبِ طاعتُه؛ استحقَّ أن يكون مِنَ الظَّالمين[3]، والأكلُ مِنَ الشَّجرةِ سببٌ للعصيانِ، حيث أفاض السِّياق "وبيَّن أنَّهما إذا أكلا منها؛ كانا مِنَ الظَّالمين لعصيان أمر ربِّهما، ولضعف إرادتهما، وأوَّل الظُّلم ضعفُ إرادة الظَّالم، وكان نَهْيُ اللهِ تعالى لهما، ألَّا يقربا هذه الشَّجرة، والنَّهيُ عنِ القُرْبِ نهيٌ عنِ الأكل بالأولى"[4].

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 4/377، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/72.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/326، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/72.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/56.
(4) أبوزهرة، زهرة التّفاسير: 5/2798.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»